شرح
الأربعين النووية

في الأحاديث الصحيحة النبوية

يحيى بن شرف الدين النووي

المتوفى سنة ٦٧٦ هـ

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

١٣٧٥ - ١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . قيوم السموات والأرضين ، مدبر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل صلواته وسلامه عليهم إلى المكلفين ، لهدايتهم وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين . أحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، الكريم الغفار

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين المكرّم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرّة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين ، المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ، وآل كلّ وسائر الصالحين

﴿ أما بعد ﴾ فقد روينا عن على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهم من طرق كثيرات بروايات متنوّعات أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من حفظ

على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء . وفى رواية بعثه الله فقيها عالمـا ، وفى رواية أبى الدرداء وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا ، وفى رواية ابن مسعود قيل له ادخل من أىّ أبواب الجنة شئت ، وفى رواية ابن عمر كتب فى زمرة العلمـاء ، وحشر فى زمرة الشهداء . واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه . وقد صنف العلمـاء رضى الله تعالى عنهم فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات . فأوّل من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ثم محمد بن أسلم الطوسى العالم الرّبانى ثم الحسن بن سفيان النسائى وأبو بكر الآجرى وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهانى والدارقطنى والحاكم وأبو نعيم وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو سعيد المـالينى وأبو عثمان الصابونى وعبد الله بن محمد الأنصارى وأبو بكر البيهقى وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين

وقد استخرت الله تعالى فى جمع أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام . وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال . ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث بل على قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وقوله صلى الله عليـه وآله وسلم نضر الله امرءاً سمع مقالتى

فوعاها فأدّاها كما سمعها ثم من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين وبعضهم فى الفروع ، وبعضهم فى الجهاد ، وبعضهم فى الزهـد ، وبعضهم فى الآداب ، وبعضهم فى الخطب ، وكلها مقاصد صالحة رضى الله تعـالى عن قاصـديها . وقد رأيت جمع أربعين أهمّ من هذا كله . وهى أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه أو هو نصف الإسـلام أو ثلثه أو نحو ذلك ثم ألتزم فى هذه الأربعين أن تـكون صحيحة ومعظمها فى صحيحى البخارى ومسلم وأذكرها محذوفة الأسانيـد ليسهل حفظها ويعمّ الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ثم أتبعها بباب فى ضبط خفىّ ألفاظها وينبغى لكل راغب فى الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لمـا اشتملت عليـه من المهمات واحتوت عليـه من التنبيه على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره وعلى الله اعتمادى و إليه تفويضى واستنادى وله الحمـد والنعمة وبه التوفيق والعصمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الحديث الأول ﴾

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ، رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهْ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ

دلَ الحديث على أن النية معيار لتصحيح الأعمال فحيث صلحت النية صلح العمل وحيث فسدت فسد العمل و إذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال « الأول » أن يفعل ذلك خوفا من الله تعالى وهذه عبادة العبيد « الثانى » أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب وهذه عبادة التجار « الثالث » أن يفعل ذلك حياء من الله تعالى و تأدية لحق العبودية و تأدية للشكر ويرى نفسه مع ذلك مقصرا ويكون مع ذلك قلبه خائفا لأنه لايدرى هل قبل عمله مع ذلك أم لا ، وهذه عبادة الأحرار و إليها أشار رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لما قالت له عائشة رضى الله تعالى عنها حين قام من الليل حتى تورّمت قدماه يارسول الله تتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا « فإن قيل » هل الأفضل العبادة مع الخوف أو مع الرجاء « قيل » قال الغزالى رحمه الله تعالى : العبادة مع الرجاء أفضل لأن الرجاء يورث المحبة والخوف يورث القنوط وهذه الأقسام الثلاثة فى حق المخلصين. واعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب فمن أعجب بعمله حبط عمله و كذلك من استكبر حبط عمله « الحال الثانى » أن يفعل ذلك لطلب الدنيا والآخرة جميعهما « فذهب » بعض أهل العلم إلى أن عمله مردود « واستدل » بقوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الخبر الربّانى يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء

فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه «و إلى هذا» ذهب الحارث المحاسبي فى كتاب الرعاية فقال الإخلاص أن تريده بطاعته ولا تريد سواه. والرياء نوعان «أحدهما» لايريد بطاعته إلا الناس «والثانى» أن يريد الناس ورب الناس وكلاهما محبط للعمل. ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم فى الحلية عن بعض السلف «واستدلّ» بعضهم على ذلك أيضا بقوله تعالى «الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون» فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك تكبر أن يقبل عملا أشرك فيه غيره فهو تعالى أكبر وكبير ومتكبر. وقال السمرقندى رحمه الله تعالى مافعله لله تعالى قبل وما فعله من أجل الناس ردّ. ومثال ذلك من صلى الظهر مثلا وقصد أداء مافرض الله تعالى عليه ولكنه طوّل أركانها وقراءتها وحسن هيآتها من أجل الناس فأصل الصلاة مقبول، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول لأنه قصد به الناس. وسئل الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام عمن صلى فطوّل صلاته من أجل الناس فقال أرجو أن لايحبط عمله هذا كله إذا حصل التشريك فى صفة العمل. فإن حصل فى أصل العمل بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس فلا تقبل صلاته لأجل التشريك فى أصل العمل، وكما أن الرياء فى العمل يكون فى ترك العمل. قال الفضيل ابن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك

والإخلاص أن يعافيك الله منهما . ومعنى كلامه رحمه الله تعالى أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس فهو مراء لأنه ترك العمل لأجل الناس . أما لو تركها ليصليها فى الخلوة فهذا مستحب إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبة أو يكون عالما يقتدى به فالجهر بالعبادة فى ذلك أفضل وكما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع وهو أن يعمل لله تعالى فى الخلوة ثم يحدّث الناس بما عمل قال صلى الله عليه وآله وسلم من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به . قال العلماء فإن كان عالما يقتدى به وذكر ذلك تنشيطا للسامعين ليعملوا به فلا بأس . قال المرزبانى رحمة الله تعالى عليه : يحتاج المصلى إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته : حضور القلب وشهود العقل وخضوع الأركان وخشوع الجوارح . فمن صلى بلا حضور قلب فهو مصلٍّ لاه ، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصلٍّ ساه ، ومن صلى بلا خضوع الأركان فهو مصلٍّ جاف ، ومن صلى بلا خشوع الجوارح فهو مصل خاطئ ، ومن صلى بهذه الأركان فهو مصلٍّ واف

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم إنما الأعمال بالنيات﴾ أراد بها أعمال الطاعات دون أعمال المباحات . قال الحارث المحاسبى الإخلاص لا يدخل فى مباح لأنه لا يشتمل على قربة ولا يؤدى إلى قربة كرفع البنيان لا لغرض بل لغرض الرعونة . أما إذا كان لغرض كالمساجد والقناطر والأربطة

فيكون مستحبا قال ولا إخلاص فى محرّم ولا مكروه، كمن ينظر إلى
ما لا يحل له النظر إليه ويزعم أنه ينظر إليه ليتفكر فى صنع الله تعالى
كالنظر إلى الأمرد وهذا لا إخلاص فيه بل لاقربة البتة. قال فالصدق
فى وصف العبد فى استواء السرّ والعلانية والظاهر والباطن والصدق
يتحقق بتحقق جميع المقامات والأحوال حتى أن الإخلاص يفتقر إلى الصدق
والصدق لا يفتقر إلى شىء لأن حقيقة الاخلاص هو إرادة الله تعالى بالطاعة
فقد يريد الله بالصلاة ولكنه غافل عن حضور القلب فيها، والصدق هو
إرادة الله بالعبادة مع حضور القلب إليه فكل صادق مخلص، وليس كل
مخلص صادقا، وهو معنى الاتصال والانفصال، لأنه انفصل عن غير الله
واتصل بالحضور بالله، وهو معنى التخلى عما سوى الله والتحلى بالحضور
بين يدى الله سبحانه وتعالى. قوله إنما الأعمال: يحتمل إنما صحة الأعمال
أو تصحيح الأعمال أو قبول الأعمال. أو كمال الأعمال وبهذا أخذ الإمام
أبو حنيفة رحمه الله تعالى ويستثنى من الأعمال ما كان من قبيل التروك
كإزالة النجاسة، ورد المغصوب والعوارى وإيصال الهدية وغير ذلك فلا
تتوقف صحتها على النية المصححة، لكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب
ومن ذلك ما إذا أطعم دابته إن قصد بإطعامها امتثال أمر الله تعالى فإنه
يثاب، وإن قصد بإطعامها حفظ المالية فلا ثواب ذكره القرافى، ويستثنى

من ذلك فرس المجاهد إذا ربطها فى سبيل الله فإنها إذا شربت وهو لا يريد سقيها أثيب على ذلك كما فى صحيح البخارى . وكذلك الزوجة ، وكذلك إغلاق الباب وإطفاء المصباح عند النوم إذا قصد به امتثال أمر الله أثيب وإن قصد به أمرا آخر فلا ، واعلم أن النية لغة القصد ، يقال نواك الله بخير أى قصدك به ، والنية شرعا قصد الشىء مقترنا بفعله ، فإن قصد وتراخى عنه فهو عزم ، وشرعت النية لتمييز العادة من العبادة أو لتمييز رتب العبادة بعضها عن بعض ، مثال الأول الجلوس فى المسجد قد يقصد للاستراحة فى العادة وقد يقصد للعبادة بنية الاعتكاف فالمميز بين العبادة والعادة هو النية وكذلك الغسل قد يقصد به تنظيف البدن فى العادة وقد يقصد به العبادة فالمميز هو النية ، وإلى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن الرجل يقاتل رياء ويقاتل حمية ويقاتل شجاعة أى ذلك فى سبيل الله تعالى ؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله تعالى . ومثال الثانى وهو المميز رتب العبادة ، فمن صلى أربع ركعات قد يقصد إيقاعها عن صلاة الظهر وقد يقصد إيقاعها عن السنن فالمميز هو النية ، وكذلك العتق قد يقصد به الكفارة وقد يقصد به غيرها كالنذر ونحوه فالمميز هو النية . وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما لكل امرئ ما نوى . دليل على أنه لا تجوز النيابة فى العبادات ولا التوكيل فى نفس النية . وقد استثنى من ذلك

تفرقة الزكاة وذبح الأضحية فيجوز التوكيل فيهما فى النية والذبح والتفرقة مع القدرة على النية، وفى الحج لا يجوز ذلك مع القدرة ودفع الدين أما إذا كان على جهة واحدة لم يحتج إلى نية وإن كان على جهتين كمن عليه ألفان بأحدهما رهن فأدّى ألفا وقال جعلته عن ألف الرهن صدق فإن لم ينو شيئا حالة الدفع نوى بعد ذلك وجعله عما شاء، وليس لنا نية تتأخر عن العمل وتصح إلا هنا ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه﴾ أصل المهاجرة المجافاة والترك، فاسم الهجرة يقع على أمور (الأول) هجرة الصحابة رضى الله تعالى عنهم من مكة إلى الحبشة حين آذى المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففروا منه إلى النجاشى وكانت هذه الهجرة بعد البعثة بخمس سنين قاله البيهقى (الهجرة الثانية) من مكة إلى المدينة وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وأطلق جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة وهذا ليس على إطلاقه فإنه لا خصوصية للمدينة وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال ابن العربى قسم العلماء رضى الله تعالى عنهم الذهاب فى الأرض هربا وطلبا فالأول ينقسم إلى ستة أقسام

(الأول) الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهى باقية إلى يوم القيامة، والتى انقطعت بالفتح فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لاهجرة بعد الفتح، هى القصد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان (الثانى) الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم سمعت مالكا يقول لايحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف (الثالث) الخروج من أرض يغلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم (الرابع) الفرار من الأذية فى البدن وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه فإذا خشى على نفسه فى مكان فقد أذن الله تعالى له فى الخروج عنه والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام حين خاف من قومه فقال « إنى مهاجر إلى ربى » وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام « فخرج منها خائفا يترقب » (الخامس) الخروج خوف المرض فى البلاد الوخمة إلى الأرض النزهة وقد أذن صلى الله عليه وآله وسلم للعرنيين فى ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج (السادس) الخروج خوفا من الأذية فى المال فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، وأماقسم الطلب فإنه ينقسم إلى عشرة: طلب دين. وطلب دنيا، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع (الأول) سفر العبرة قال الله تعالى « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »

وقد طاف ذو القرنين فى الدنيا ليرى عجائبها (الثانى) سفر الحج (الثالث) سفر الجهاد (الرابع) سفر المعاش (الخامس) سفر التجارة والكسب الزائد على القوت وهو جائز لقوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » (السادس) طلب العلم (السابع) قصد البقاع الشريفة قال صلى الله عليه وآله وسلم لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى (الثامن) قصد الثغور للرباط بها (التاسع) زيارة الاخوان فى الله تعالى . قال صلى الله عليه وآله وسلم زار رجل أخا له فى قرية فأرسل الله ملكا على مدرجته فقال أين تريد قال أريد أخا لى فى هذه القرية فقال هل له عليك من نعمة تؤديها ؟ قال لا إلا أنى أحبه فى الله تعالى قال فإنى رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته رواه مسلم وغيره (الثالثة) هجرة القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم (الرابعة) هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يرجع إلى قومه (الخامسة) الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر قال الماوردى فإن صار له بها أهل وعشيرة وأمكنه إظهار دينه لم يجز له أن يهاجر لأن المكان الذى هو فيه قد صار دار إسلام (السادسة) هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة بغير سبب شرعى وهى

مكروهة فى الثلاثة وفيما زاد حرام إلا لضرورة وحكى أن رجلا هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب إليه هده الأبيات فقال :

ياسيدى عندك لى مظلمه فاستفت فيها ابن أبى خيثمه
فإنه يرويه عن جـــده ماقد روى الضحاك عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمـــه
إن صدود الألف عن ألفه فوق ثلاث ربنا حرمـــه

(السابعة) هجر الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها قال تعالى « واهجروهن فى المضاجع » ومن ذلك هجرة أهل المعاصى فى المكان والكلام وجواب السلام وابتدائه (الثامنة) هجرة مانهى الله عنه وهى أعم الهجرة ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ﴾ أى نية وقصداً فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعاً ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها الخ نقلوا أن رجلا هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس فسمى مهاجر أم قيس ، فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلم كان من مطلوبات الدنيا ؟ قيل فى الجواب إنه لم يخرج فى الظاهر لها وإنما خرج فى الظاهر للهجرة فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم ، وقيس بذلك من خرج فى الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة وكذلك الخروج لطلب العلم اذا قصد

به حصول رئاسة أو ولاية ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرته إلى ماهاجر إليه ﴾ يقتضى أنه لاثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة ، وينبغى حمل الحديث على ما إذا كان المحرك والباعث له على الحج إنما هو التجارة ، فان كان الباعث له الحج فله الثواب والتجارة تبع له ، الا أنه ناقص الأجر عمن أخرج نفسه للحج وان كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب لأن هجرته لم تتمحض للدنيا ويحتمل خلافه لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا ، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط والله سبحانه وتعالى أعلم .

(الحديث الثانى)

عَنْ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ أَيْضاً قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً قَالَ صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الْإِحْسَانِ

قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿ قوله صلى الله عليه و آله وسلم أخبرني عن الإيمان ﴾ الإيمان في اللغة هو مطلق التصديق وفي الشرع عبارة عن تصديق خاص وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات وهو الانقياد إلى عمل الظاهر وقد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما في الحديث قال الله تعالى «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون وبقلوبهم ينكرون . فلما ادعوا الإيمان كذبهم الله تعالى في دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب

وصدقهم فى دعوى الاسلام لتعاطيهم إياه وقال الله تعالى «إذا جاءك المنافقون إلى قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» أى فى دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم لأن ألسنتهم لم تواطئ قلوبهم وشرط الشهادة بالرسالة أن يواطئ اللسان القلب فلما كذبوا فى دعواهم بين الله تعالى كذبهم ولما كان الايمان شرطا فى صحة الاسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين قال الله تعالى «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» فهذا استثناء متصل لما بين الشرط والمشروط من الاتصال. ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانا قال الله تعالى «وما كان الله ليضيع إيمانكم» وقال تعالى «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان» أى الصلاة ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وتؤمن بالقدر خيره وشره﴾ بفتح الدال وسكونها لغتان ومذهب أهل الحق إثبات القدر. ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وفى أمكنة معلومة وهى تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى «واعلم» ان التقادير أربعة (الأول) التقدير فى العلم ولهذا قيل العناية قبل الولاية والسعادة قبل الولادة واللواحق مبنية على السوابق قال الله تعالى «يؤفك عنه من أفك» أى يصرف عن سماع القرآن وعن الايمان به فى الدنيا من صرف عنه فى القدم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لا يهلك الله إلا هالكا » أى من كتب فى علم الله تعالى أنه هالك (الثانى) التقدير فى اللوح المحفوظ وهذا التقدير يمكن أن يتغير قال الله تعالى « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان يقول فى دعائه اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا (الثالث) التقدير فى الرحم وذلك أن الملك يؤمر بكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد (الرابع) التقدير وهو سوق المقادير إلى المواقيت والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجيئه إلى العبد فى أوقات معلومة والدليل على أن الله تعالى خلق الخير والشر قوله تعالى « إن المجرمين فى ضلال وسعر إلى قوله بقدر » نزلت هذه الآية فى القدرية يقال لهم ذلك فى جهنم وقال تعالى « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » وهذا القسم إذا حصل اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه . وفى الحديث « إن الصدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة » وفى الحديث « إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل » وزعمت القدرية أن الله تعالى لم يقدر الأشياء فى القدم ولا سبق علمه بها وأنها مستأنفة وأنه تعالى إنما يعلمها بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى جل عن أقوالهم الكاذبة وتعالى علوا كبيرا وهؤلاء انقرضوا وصارت القدرية فى الأزمان المتأخرة يقولون الخير من الله

والشرّ من غيره تعالى الله عن قولهم . وصح عنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أنه قال القدرية مجوس هذه الأمة سماهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس وزعمت الثنوية أن الخير من فعل النور والشرّ من فعل الظلمة فصاروا ثنوية كذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشرّ إلى غيره وهو تعالى خالق الخير والشرّ (قال) إمام الحرمين فى كتاب الإرشاد إن بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر (وردّ) على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم ومن يدعى الشر لنفسه ويضيفه إليها أولا بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه ﴿قوله عليه السلام فأخبرنى عن الإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه﴾ وهذا مقام المشاهدة لأن من قدر أن يشاهد الملك استحى أن يلتفت إلى غيره فى الصلاة وأن يشغل قلبه بغيره . ومقام الإحسان مقام الصديقين وقد تقدم فى الحديث الأول الإشارة إلى ذلك ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يراك﴾ غافلا إن غفلت فى الصلاة وحدّثت النفس فيها ﴿قوله عليه السلام فأخبرنى عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل﴾ هذا الجواب يدل على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان لا يعلم متى الساعة بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به قال الله تعالى « إن الله عنده علم الساعة » وقال تعالى « ثقلت فى السموات

والأرض لا تأتيكم إلا بغتة » وقال تعالى « ومايدريك لعلّ الساعة تكون قريبا » ومن ادّعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة وأنه بقى منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل حكاه الطوخى فى أسباب التنزيل عن بعض المنجمين وأهل الحساب . ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوّف على الغيب ولا يحلّ اعتقاده ﴿قوله عليه السلام فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها﴾ الأمار والأمارة بإثبات التاء وحذفها لغتان وروى ربها وربتها قال الأكثرون هذا إخبار عن كثرة السرارى وأولادهنّ فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان سائر إلى ولده وقيل معناه الإماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته ويحتمل أن يكون المعنى أن الشخص يستولد الجارية ولدا ويبيعها فيكبر الولد ويشترى أمه وهذا من أشراط الساعة ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان﴾ إذ العالة هم الفقراء والعائل الفقير والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أى افتقر والرعاء بكسر الراء وبالمد ويقال فيه رعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يترقون فى البنيان والدنيا وتبسط لهم حتى يتباهوا فى البنيان ﴿قوله فلبث مليا﴾ هو بفتح الثاء على أنه للغائب وقيل فلبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح . ومليا

بتشديد الياء معناه وقتا طويلا وفى رواية أبى داود والترمذى أنه قال بعد ثلاثة أيام وفى شرح التنبيه للبغوى أنه قال بعد ثلاث فأ كثر وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال وفى ظاهر هذا مخالفة لقول أبى هريرة فى حديثه ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردّوا علىّ الرجل فأخذوا يردّونه فلم يروا شيئا فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا جبريل، فيمكن الجمع بينهما بأن عمر رضى الله تعالى عنه لم يحضر قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم فى الحال بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحاضرين فى الحال وأخبر عمر بعد ثلاث إذ لم يكن حاضرا عند إخبار الباقين ، وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم : دليل على أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها دينا . وفى الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب وعلى ترك الخوض فى الأمور وعلى وجوب الرضا بالقضاء . دخل رجل على ابن حنبل رضى الله تعالى عنه فقال عظنى فقال له إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا و إن كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا و إن كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وإن كانت النار حقا فالمعصية لماذا وإن كان سؤال منكر ونكير حقا فالأنس لماذا و إن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا و إن كان الحساب حقا فالجمع لماذا وإن كان كل شىء بقضاء

وقدر فالخوف لماذا

﴿فائدة﴾ ذكر صاحب مقامات العلماء أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسما خمسة بالقضاء والقدر وخمسة بالاجتهاد وخمسة منها بالعادة وخمسة بالجوهر وخمسة بالوراثة . فأما الخمسة التى فيها بالقضاء والقدر فالرزق والولد والأهل والسلطان والعمر . والخمسة التى بالاجتهاد فالجنة والنار والعفة والفروسية والكتابة . والخمسة التى بالعادة فالأكل والنوم والمشى والنكاح والتغوّط . والخمسة التى بالجوهر فالزهد والذكاء والبذل والجمال والهيبة . والخمسة التى بالوراثة فالخير والتواصل والسخاء والصدق والأمانة وهذا كله لاينافى قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل شىء بقضاء وقدر وإنما معناه أن بعض هذه الأشياء يكون مرتبا على سبب وبعضها يكون بغير سبب والجميع بقضاء وقدر

﴿الحديث الثالث﴾

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ * رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم بنى الإسلام على خمس﴾ أى فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وهى خمس وهذا بناء معنوى شبه بالحسى ووجه التشبيه أن البناء الحسى إذا انهدم بعض أركانه لم يتم فكذلك البناء المعنوى ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك يقاس البقية ومما قيل فى البناء المعنوى:

بنا الأمور بأهل الدين ما صلحوا ... وإن تولوا فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وقد ضرب الله مثلا للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان» الآية، شبه بناء المؤمن بالذى وضع بنيانه على وسط طود أى جبل راسخ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هار لاثبات له فأكلها البحر فانهار الجرف فانهار بنيانه فوقع به البحر فغرق فدخل جهنم ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم بنى الإسلام على خمس ﴾ أى بخمس على أن تكون على بمعنى الباء وإلا فالمبنى غير المبنى عليه فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام فهو فاسد ويحتمل أن تكون على بمعنى من كقوله تعالى «إلا على أزواجهم» أى من أزواجهم والخمسة المذكورة فى الحديث أصول البناء وأما التتمات والمكملات كبقية الواجبات وسائر المستحبات فهو زينة للبناء وقد ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله قال وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم وحج البيت وصوم رمضان ﴾ هذا جاء فى هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم وهذا من باب الترتيب فى الذكر دون الحكم لأن صوم رمضان وجب قبل الحج وقد جاء فى الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج

﴿الحديث الرابع﴾

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَٰلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَٰلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَاللّٰهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ۞ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿قوله وهو الصادق المصدوق﴾ أى شهد الله له بأنه صادق والمصدوق

بمعنى المصدق فيه ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع خلقه فى بطن أمه﴾ يحتمل أن يراد أنه يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد كما قال تعالى « خلق من ماء دافق » الآية ، ويحتمل أن المراد به يجمع من البدن كله وذلك أنه قيل إن النطفة فى الطور الأول تسرى فى جسد المرأة أربعين يوما وهى أيام التوحمة ثم بعد ذلك تجمع ويذر عليها من تربة المولود فتصير علقة ثم يستمر فى الطور الثانى فيأخذ فى الكبر حتى تصير مضغة وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التى تمضغ ثم فى الطور الثالث يصور الله تلك المضغة ويشق فيها السمع والبصر والشم والفم ويصور فى داخل جوفها الحوايا والأمعاء ، قال الله تعالى « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » الآية ، ثم إذا تم الطور الثالث وهو أربعون صار للمولود أربعة أشهر نفخت فيه الروح قال الله تعالى « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب » يعنى أباكم آدم « ثم من نطفة » يعنى ذريته والنطفة المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف « ثم من علقة » وهو الدم الغليظ المتجمد وتلك النطفة تصير دما غليظا « ثم من مضغة » وهى لحمة « مخلقة وغير مخلقة » قال ابن عباس مخلقة أى تامة وغير مخلقة أى غير تامة بل ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة يعنى السقط وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال أى

رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة قذفها فى الرحم دما ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك أى رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد ماالرزق وما الاجل وبأى أرض تموت فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى يأتى إلى آخر صفته ولهــذا قيل السعادة قبل الولادة ﴿ قوله صلى الله عليه و آله وسلم فيسبق عليه الكتاب ﴾ أى الذى سبق فى العلم أو الذى سبق فى اللوح المحفوظ أو الذى سبق فى بطن الأم وقد تقدم أن المقادير أربعة ﴿ قوله صلى الله عليه و آله وسلم حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ﴾ هو تمثيل وتقريب والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره وليس المراد حقيقة الذراع وتحديده من الزمان فإن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات دخل الجنة والمسلم إذا تكلم فى آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار ، وفى الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار وإن عمل سائر أنواع البر أو عمل سائر أنواع الفسق وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به لأنه لا يدرى ما الخاتمة وينبغى لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ويستعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العاقبة ، فإن قيل قال الله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا» ظاهر الآية أن العمل الصالح

من المخلص يقبل وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة . فالجواب من وجهين : أحدهما أن يكون ذلك معلقا على شرط القبول وحسن الخاتمة ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائما إلا بخير وإن خاتمة السوء إنما تكون فى حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة ويدل عليه الحديث الآخر «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس» أى فيما يظهر لهم من صلاح ظاهره مع فساد سريرته وخبثها والله تعالى أعلم ، وفى الحديث دليل على استحباب الحلف لتأكيد الأمر فى النفوس وقد أقسم الله تعالى «فورب السماء والأرض إنه لحق» وقال الله تعالى « قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم »

﴿الحديث الخامس﴾

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ * رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد﴾ أى مردود، فيه دليل على أن العبادات من الغسل والوضوء والصوم والصلاة إذا فعلت على خلاف الشرع تكون مردودة على فاعلها وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك وقال صلى الله عليه وآله وسلم للذى قال له إن ابنى كان عسيفا على هـذا فزنى بامرأته وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فقال صلى الله عليه وآله وسلم الوليدة والغنم ردٌّ عليك، وفيه دليل على أن من ابتدع فى الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه وعمله مردود عليه وإنه يستحق الوعيد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله

﴿ الحديث السادس ﴾

عَنْ أَبِى عَبْـدِ اللّٰهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللّٰهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِىَ الْقَلْبُ * رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ

﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات الخ ﴾ اختلف العلماء فى حدّ الحلال والحرام فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى الحلال مادل الدليل على حله وقال الشافعى رضى الله عنه الحرام مادل الدليل على تحريمه ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهما أمور مشتبهات ﴾ أى بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال

والحرام فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك بل ولا يستحب ويكره السؤال عنه ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴾ أى طلب براءة دينه وسلم من الشبهة وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم فى الإثم وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم وعن على رضى الله عنه أنه قال إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً وفى صحيح الترمذى أنه عليه الصلاة والسلام قال إذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف وذلك لئلا يقال عنه أحدث ﴿ قوله عليه الصلاة والسلام فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ﴾ يحتمل أمرين أحدهما أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام والثانى أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام كما يقال المعاصى بريد الكفر لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها قيل وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى « ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » يريد أنهم تدرجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء ، وفى الحديث

لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أى يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة. والحمى مايحميه الغير من الحشيش فى الأرض المباحة فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ماإذا رعى إبله بعيداً من الحمى. واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به فالفرج محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلا حريما للمحرم وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم. فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم فالمحرم حرام لعينه والحريم محرّم لأنه يتدرج به إلى المحرم (قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وإن فى الجسد مضغة) أى فى الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح وإذا طمحت طمحت الجوارح وإذا فسدت فسدت الجوارح. قال العلماء البدن مملكة النفس ومدينتها والقلب وسط المملكة والأعضاء كالخدام والقوى الباطنة كضياع المدينة والعقل كالوزير المشفق الناصح به والشهوة طالب أرزاق الخدام والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل ودابه أبدا منازعة الوزير الناصح والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن والقوة المفكرة فى وسط الدماغ والقوة الحافظة فى آخر الدماغ واللسان كالترجمان والحواس الخمس جواسيس وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات فوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم

الاصوات و كذلك سائرها فإنها أصحاب الإخبار ثم قيل هى كالحجبة توصل إلى النفس ماتدركه وقيل إن السمع والبصر والشم كالطاقات نظر منها النفس فالقلب هو الملك فإذا صلح الراعى صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضى بالمقدور وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم

﴿الحديث السابع﴾

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِي رضي اللهُ تعالى عنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ * رواه مسلم

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾ قال الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للنصوح له وقيل النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب وقيل إنها مأخوذة من نضحت العسل إذا صفيته من الشمع شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط ، قال العلماء أما النصيحة لله تعالى فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموده من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى

بجميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف بجميع النـاس أو من
أمكن منهم وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد فى نصحه نفسه والله
تعالى غنى عن نصح الناصح. وأما النصيحة لكتاب الله تعالى فالإيمان بأنه
كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شىء من كلام الناس ولا يقدر على مثله أحد
من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة
حروفه فى التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق
بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه
والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه
وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ماذكرناه
من نصيحته، وأما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم فتصديقه على الرسالة
والإيمان بجميع ماجاء به وطاعته فى أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا
ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقته
وسنته وبث دعوته ونشر سنته ونفى التهم عنها ونشر علومها والتفقه فيها
والدعاء لها والتلطف فى تعلمها وتسليمها وإعظامها وإجلالها والتأدب
عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها لانتسابهم
إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة
من ابتدع فى سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك. وأما النصيحة

لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم . قال الخطابى ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح ، قال ابن بطال رحمه الله تعالى فى هذا الحديث دليل أن النصيحة تسمى دينا وإسلاما وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول قال والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به ويسقط عن الباقين قال والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشى أذى فهو فى سعة والله تعالى أعلم ، فإن قيل ففى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له » وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقا ومفهوم الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق فجوابه أنه يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية كنكاح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك والأول يحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبة على كل مسلم والله تعالى أعلم

﴿الحديث الثامن﴾

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضى اللهُ تعالى عنهما أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى ❊ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت الخ﴾ فيه دليل على أن مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم﴾ فإن قيل فالصوم من أركان الإسلام وكذلك الحج ولم يذكرهما فجوابه أن الصوم لا يقاتل الإنسان عليه بل يحبس ويمنع الطعام والشراب ، والحج على التراخى فلا يقاتل عليه وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الثلاثة لأنه يقاتل على تركها ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ حين بعثه إلى اليمن بل ذكر هذه الثلاثة خاصة ﴿وقوله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بحق الإسلام﴾

فمن حق الإسلام فعل الواجبات فمن ترك الواجبات جاز قتاله كالبغاة وقطاع الطريق والصائل ومانع الزكاة والممتنع من بذله الماء للمضطر والبهيمة المحترمة والجانى والممتنع من قضاء الدين مع القدرة والزانى المحصن وتارك الجمعة والوضوء فى تلك الأحوال يباح قتله وقتاله وكذلك لو ترك الجماعة وقلنا إنها فرض عين أو كفاية ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم وحسابهم على الله ﴾ يعنى من أتى بشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة عصم دمه وماله ثم إن كان فعل ذلك بنية خالصة صالحة فهو مؤمن ، وإن كان فعله تقية وخوفا من السيف كالمنافق فحسابه على الله وهو متولي السرائر وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من الجنابة أو أكل فى بيته وادعى أنه صائم يقبل منه وحسابه على الله عز وجلّ والله أعلم

﴿الحديث التاسع﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ٭ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه﴾ أى اجتنبوه جملة واحدة لا تفعلوه ولا شيئا منه وهذا محمول على نهى التحريم فأما نهى الكراهة فيجوز فعله وأصل النهى فى اللغة المنع ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم﴾ فيه مسائل: منها إذا وجد ماء للوضوء لا يكفيه فالأظهر وجوب استعماله ثم يتيمم للباقى ، ومنها إذا وجد بعض الصاع فى الفطرة فإنه يجب إخراجه ومنها إذا وجد بعض ما يكفى لنفقة القريب أو الزوجة أو البهيمة فإنه يجب بذله . وهذا بخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة فإنه لا يجب عتقه عن الكفارة لأن الكفارة لها بدل

وهو الصوم وقوله ﴿ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ﴾ اعلم أن السؤال على أقسام القسم الأول سؤال الجاهل عن فرائض الدين كالوضوء والصلاة والصوم وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك وهذا السؤال واجب وعليه حمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك قال الله تعالى « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقال ابن عباس رضى الله عنهما إنى أعطيت لسانا سئولا وقلبا عقولا كذلك أخبر عن نفسه رضى الله تعالى عنه ، والقسم الثانى السؤال عن التفقه فى الدين لا للعمل وحده مثل القضاء والفتوى وهذا فرض كفاية لقوله سبحانه وتعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » الآية ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب . القسم الثالث أن يسأل عن شىء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره وعلى هذا حمل الحديث لأنه قد يكون فى السؤال ترتيب مشقة بسبب تكليف يحصل . ولهذا أشار صلى الله عليه وآله وسلم « وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها » وعن على رضى الله تعالى عنه لما نزلت «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» قال رجل أكلّ عام يارسول الله فأعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يوشك أن أقول نعم والله

لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ماتركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فأنزل الله تعالى «ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» أى لم آمركم بالعمل بها وهذا النهى خاص بزمانه صلى الله عليه وآله وسلم أما بعد أن استقرت الشريعة وأمن من الزيادة فيها زال النهى بزوال سببه، وكره جماعة من السلف السؤال عن معانى الآيات المشتبهة، سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى «الرحمن على العرش استوى» فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأراك رجل سوء أخرجوه عنى، وقال بعضهم مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وهو السؤال

﴿الحديث العاشر﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً وَإِنَّ ٱللّٰهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا » وَقَالَ تَعَالَى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَارَبِّ يَارَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ * رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى طيب﴾ عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم إنى أسألك باسمك المطهر الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت وإذا استفرجت به فرجت ، ومعنى الطيب المنزه عن النقائص والخبائث فيكون بمعنى القدوس

وقيل طيب الثناء ومستلذ الأسماء عند العارفين بها وهو طيب عباده لدخول الجنة بالأعمال الصالحة وطيبها لهم والكلمة الطيبة لا إله إلا الله ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل إلا طيبا ﴾ أى فلا يتقرب إليه بصدقة حرام ويكره التصدق بالردىء من الطعام كالحب العتيق والمسوس وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة قال الله تعالى «ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون» فكما أنه تعالى لا يقبل من المال إلا الطيب كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها قوله تعالى ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ المراد بالطيبات الحلال. فى الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوى على الطاعة أو إحياء نفسه وذلك من الواجبات بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم ﴿ قوله ومطعمه حرام ومشربه حرام وقد غذى بالحرام ﴾ أى شبع وهو بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة المخففة من الغذا بالكسر والقصر. وأما الغذاء بالفتح والمد والدال المهملة فهو عبارة عن نفس الطعام الذى يؤكل فى الغداة قال الله تعالى «قال لفتاه آتنا غداءنا» ﴿ قوله فأنى يستجاب له ﴾ أى استبعادا لقول إجابة الدعاء ولهذا شرط العبادى لقبول الدعاء أكل الحلال والصحيح أن ذلك ليس بشرط فقد استجاب لشر خلقه إبليس فقال «إنك من المنظرين

﴿الحديث الحادى عشر﴾

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَعْ مَايَرِيبُكَ إِلَى مَالَا يَرِيبُكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع مايريبك إلى مالا يريبك﴾ فيه دليل على أن المتقى ينبغى له أن لا يأكل المال الذى فيه شبهة كما يحرم عليه أكل الحرام وقد تقدم قوله إلى مالا يريبك أى اعدل إلى مالا ريب فيه من الطعام الذى يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس والريبة الشك وتقدم الكلام على الشبهة

﴿الحديث الثانى عشر﴾

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالَا يَعْنِيهِ ۞ حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِىُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه﴾

أى مالا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر حين سأله عن صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها كان فيها أيها السلطان المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فى صنع الله تعالى وساعة يحدث فيها نفسه وساعة يخلو بذى الجلال والإكرام وإن تلك الساعة عون له على تلك الساعات، وكان فيها على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن لا يكون طاغيا إلا فى ثلاث تزود لمعاد ومؤنة لمعاش ولذة فى غير محرم، وكان فيها على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون بصيرا لزمانه مقبلا على

شأنه حافظا للسانه ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيما يعنيه ، قلت بأبى وأمى فما كان فى صحف موسى قال كانت عبرا كلها كان فيها عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها وعجبا لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب وعجبا لمن أيقن بالحساب غدا وهو لا يعمل ، قلت بأبى وأمى هل بقى مما كان فى صحفهما شىء قال نعم يا أبا ذر قد أفلح من تزكى إلى آخر السورة ، قلت بأبى وأمى أوصنى قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك كله قال قلت زدنى قال عليك بتلاوة القرآن « واذكر الله كثيرا » يذكرك فى السماء ، قلت زدنى قال عليك بالجهاد فإنه رهبانية المؤمنين ، قلت زدنى قال عليك بالصمت فإنه مطردة للشياطين عنك وعون لك على أمر دينك ، قلت زدنى قال قل الحق ولو كان مرا قلت زدنى قال لا تأخذك فى الله لومة لائم ، قلت زدنى قال صل رحمك وإن قطعوك ، قلت زدنى قال بحسب امرئ من الشر ما يجهل من نفسه ويتكلف ما لا يعنيه يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسن كحسن الخلق .

﴿الحديث الثالث عشر﴾

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ۞ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ الأولى أن يحمل ذلك على عموم الإخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحبا والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عن من لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسودا والحسد كما قال الغزالي ينقسم إلى ثلاثة أقسام (الأول) أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه (الثاني) أن يتمنى زوال نعمة الغير وإن لم تحصل

له كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها وهذا أشر من الأول (الثالث) أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ولكن يكره ارتفاعه عليه فى الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة وهذا أيضا محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى، قال الله تعالى «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا» الآية، فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى فى قسمته وحكمته وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس

﴿الحديث الرابع عشر﴾

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم الثيب الزانى﴾ المراد بالثيب من تزوج ووطئ فى نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك فإنه يرجم وإن لم يكن متزوجا فى حالة الزنا لاتصافه بالإحصان ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم والنفس بالنفس﴾ أى بشرط المكافأة فلا يقتل المسلم بالكافر ولا الحر بالعبد عند الشافعية لا الحنفية ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم والتارك لدينه المفارق للجماعة﴾ وهو المرتد والعياذ بالله تعالى وقد يكون موافقا للجماعة كاليهودى إذا تنصر وبالعكس يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة وفيه قولان أصحهما لا يقتل بل يلحق بالمأمن ، والثانى يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذى كان عليه وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك وهو غير الحق فلا يترك بل إن لم يسلم يقتل ، وقد تقدم القتل أيضا فى صورة سبق الكلام عليها

﴿الحديث الخامس عشر﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ۞ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت﴾ قال الشافعي رحمه الله تعالى معنى الحديث إذا أراد أن يتكلم فليفكر فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم وإن ظهر أن فيه ضررا أو شك فيه أمسك. وقال الإمام الجليل أبو محمد بن أبي زيد إمام المالكية بالمغرب في زمنه: جميع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وقوله صلى الله عليه وسلم للذي اختصر له الوصية «لا تغضب» وقوله «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ونقل عن أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أنه قال السكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من

أشرف الخصال قال وسمعت أبا عليا الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس وكذا نقله فى حلية العلماء عن غير واحد ، وفى حلية الأولياء أن الإنسان لا ينبغى له أن يخرج من كلامه إلا مايحتاج إليه كما أنه لاينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه وقال لو كنتم تشترون الكاغد للحفظة لسكتم عن كثير من الكلام ، وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من فقه الرجل قلة كلامه فيما لايعنيه» وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « العافية فى عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله عز وجل » ويقال من سكت فسلم كمن قال فغنم . وقيل لبعضهم لم لزمت السكوت قال لأنى لم أندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مرارا ومما قيل : جرح اللسان كجرح اليد ، وقيل اللسان كلب عقور إن خلى عنه عقر وروى عن على رضى الله عنه :

يموت الفتى من عثرة من لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه وعثرته بالرجل تبرى على المهل

ومما قيل :

قد أفلح الساكت الصموت كلامه قد يعد قوت
ما كل نطق له جواب جواب ما يكره السكوت
واعجبا لامرئ ظلوم مستيقن أنه يموت

﴿قوله صلى الله عليه وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه﴾ قال القاضى عياض معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام الضيف والجار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وقال صلى الله عليه وسلم «من آذى جاره ملكه الله داره» وقوله تعالى «والجار ذى القربى والجار الجنب» الجار يقع على أربعة الساكن معك فى البيت. قال الشاعر * أجارتنا بالبيت انك طالق * ويقع على من لاصق بيتك، ويقع على أربعين دارا من كل جانب ويقع على من يسكن معك فى البلد، قال الله تعالى «ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا» فالجار الملاصق القريب المسلم له ثلاثة حقوق، والجار البعيد المسلم له حقان، وغير القريب المسلم له حق واحد، والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة، واختلفوا أهل الضيافة على الحاضر والبادى أم على البادى خاصة؟ فذهب الشافعى ومحمد ابن الحكم إلى أنها على الحاضر والبادى وذهب مالك وسحنون إلى أنها على أهل البوادى لأن المسافر يجد فى الحضر المنازل فى الفنادق ومواضع النزول وما يشترى من الأسواق وقد جاء فى حديث «الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر» لكنه حديث موضوع

﴿الحديث السادس عشر﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي، قَالَ لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تغضب﴾ معناه لا تنفذ غضبك وليس النهى راجعا إلى نفس الغضب لأنه من طباع البشر ولا يمكن الإنسان دفعه، وقوله عليه الصلاة والسلام «إياكم والغضب فإنه جمرة تتوقد فى فؤاد ابن آدم ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه فإذا أحس أحدكم بشىء من ذلك فليضطجع أو ليلصق بالأرض» وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله علمنى علما يقربنى من الجنة ويبعدنى من النار قال لا تغضب ولك الجنة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفىء النار الماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» وقال أبو ذر الغفارى قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا غضب أحدكم وهو قائم

فليجلس فإن ذهب عنه الغضب و إلا فليضطجع » وقال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحي بن زكريا عليه الصلاة والسلام إنى معلمك علما نافعا لا تغضب فقال وكيف لى أن لا أغضب قال إذا قيل لك ما فيك فقل ذنب ذكرته أستغفر الله منه و إن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذلم يجعل فيك ما عيرت به وهى حسنة سيقت إليك ، وقال عمرو بن العاص سألت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم عما يبعدنى عن غضب الله تعالى قال لا تغضب وقال لقمان لابنه إذا أردت أن تؤاخى أخا فأغضبه فإن أنصفك وهو مغضب و إلا فاحذره

﴿الحديث السابع عشر﴾

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ ۞ رواه مسلم

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله كتب الإحسان على كل شيء ومن جملة الإحسان عند قتل المسلم فى القصاص أن يتفقد آلة القصاص ولا يقتل بآلة كالة وكذلك يحد الشفرة عند الذبح ويريح البهيمة ولا يقطع منها شيأ حتى تموت ولا يحد السكين قبالها وأن يعرض عليها الماء قبل الذبح ولا يذبح اللبون ولا ذات الولد حتى يستغنى عن اللبن وأن لا يستقصى فى الحلب ويقلم أظفاره عند الحلب قالوا ولا يذبح واحدة قدام أخرى

﴿الحديث الثامن عشر﴾

عَنْ أَبِي ذَرٍ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ * رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ حَسَنٌ صَحِيحٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم اتق الله حيثما كنت﴾ أى اتقه فى الخلوة كما تتقيه فى الجلوة بحضرة الناس واتقه فى سائر الأمكنة والأزمنة ومما يعين على التقوى استحضار أن الله تعالى مطلع على العبد فى سائر أحواله، قال الله تعالى «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم. الآية» والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأتبع السيئة الحسنة تمحها﴾ أى إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها وافعل بعدها حسنة تمحها. اعلم أن ظاهر هذا الحديث يدل على أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة وإن كانت الحسنة بعشر وأن التضعيف

لا يمحو السيئة ، وليس هذا على ظاهره بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات وقد ورد فى الحديث مايشهد لذلك وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم تكبرون دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتسبحون عشرا فذلك مائة وخمسون باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم أيكم يفعل فى اليوم الواحد ألفا وخمسمائة سيئة » دل على أن التضعيف يمحو السيئات ، وظاهر الحديث أن الحسنة تمحو السيئة مطلقا وهو محمول على السيئة المتعلقة بحق الله تعالى . أما السيئة المتعلقة بحق العباد من الغضب والغيبة والنميمة فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ولابد أن يعين له جهة الظلامة فيقول قلت عليك كيت وكيت ، وفى الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » قال الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد » ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم وخالق الناس بخلق حسن ﴾ اعلم أن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وإلى كف الأذى عنهم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها ببسط الوجه وحسن الخلق » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « خيركم أحسنكم أخلاقا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلا أتاه فقال يارسول الله ماأفضل الأعمال ؟ قال : حسن الخلق ، وهو على مامر أن

لا تغضب ، ويقال اشتكى نبى إلى ربه سوء خلق امرأته فأوحى الله إليه قد جعلت ذلك حظك من الأذى . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وخيارهم خيارهم لنسائهم » وعنه صلى الله عليه وسلم « إن الله اختار لكم الإسلام دينا فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما » وقال جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وآله وسلم حين نزل قوله تعالى « خذ العفو الآية » قال فى تفسير ذلك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك . وقال تعالى « ادفع بالتى هى أحسن . الآية » وقيل فى تفسير قوله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » قال كان خلقه القرآن يأتمر بأوامره وينزجر بزواجره ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه صلى الله عليه وآله وسلم

(الحديث التاسع عشر)

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْماً فَقَالَ يَاغُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ * رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

(قوله صلى الله عليه وآله وسلم احفظ الله يحفظك) أى احفظ أوامره وامتثلها وانته عن نواهيه يحفظك فى تطلباتك وفى دنياك وآخرتك، قال الله تعالى «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة» وما يحصل للعبد من البلاء والمصائب بسبب تضييع أوامر الله تعالى، قال الله تعالى «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» (قوله صلى الله عليه وآله وسلم تجده تجاهك) أى أمامك قال صلى الله عليه وآله وسلم «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة» وقد نص الله تعالى فى كتابه أن العمل الصالح ينفع عند الشدة وينجى فاعله، وأن عمل المصائب يؤدى بصاحبه إلى الشدة. قال تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام «فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون» ولما قال فرعون «آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل» قال له الملك «آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» (قوله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سألت فاسأل الله) إشارة إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله بل يتوكل عليه فى سائر أموره ثم إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجر العادة بجريانها على أيدى خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة سأل ربه ذلك وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه

وتعالى يجريها على أيدى خلقه كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع
وولاة الأمور سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول اللهم حنن
علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك ولا يدعو الله تعالى باستغنائه
عن الخلق ، لأنه صلى الله عليه وسلم سمع عليا يقول اللهم أغننا عن خلقك
فقال لا تقل هكذا فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ولكن قل اللهم أغننا
عن شرار خلقك ، وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم ، ويروى عن
الله تعالى فى الكتب المنزلة « أيقرع بالخواطر باب غيرى وبابى مفتوح
أم هل يؤمل للشدائد سواى وأنا الملك القادر ، لأكسونّ من أمل غيرى
ثوب المذلة بين الناس الخ » ﴿قوله واعلم أن الأمة الخ﴾ لما كان قد
يطمع فى بر من يحبه ويخاف شر من يحذره قطع الله اليأس من نفع الخلق
بقوله « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا
رادّ لفضله » ولا ينافى هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة
والسلام « فأخاف أن يقتلون » وقوله تعالى « إننا نخاف أن يفرط علينا
أو أن يطغى » وكذا قوله « خذوا حذركم » إلى غير ذلك بل السلامة بقدر
الله والعطف بقدر الله والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة
قال الله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ﴿قوله صلى الله عليه وآله
وسلم واعلم أن النصر مع الصبر﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تتمنوا

لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا فإن الله مع الصابرين » وكذلك الصبر على الأذى فى موطن يعقبه النصر ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم وإن الفرج مع الكرب ﴾ الكرب هو شدة البلاء فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى الفرج كما قيل اشتدى أزمة تنفرجى ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم وإن مع العسر يسرا ﴾ قد جاء فى حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « لن يغلب عسر يسرين وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين وذكر اليسر مرتين ، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت لأن اللام الثانية للعهد وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت ، فالعسر ذكر مرتين معرفا واليسر مرتين منكرا فكان اثنين ، فلهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم « لن يغلب عسر يسرين »

﴿الحديث العشرون﴾

عَنْ أَبِي مسعود عقبة بن عمرو الأَنْصَارِي الْبَدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عنه

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وسَلَّمَ : إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ

كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ * رَوَاهُ الْبُخَارِي

﴿قوله صلى الله عليه و آله وسلم إذا لم تستح فاصنع ماشئت﴾ معناه

إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي من فعله من الله ولا من الناس

فافعله وإلا فلا ، وعلى هذا الحديث يدور مدار الاسلام كله ، وعلى هذا

يكون قوله صلى الله عليه و آله وسلم « فاصنع ماشئت » أمر إباحة لأن

الفعل إذا لم يكن منهيا عنه شرعا كان مباحا ، ومنهم من فسر الحديث بأنك

إذا كنت لا تستحي من الله تعالى ولا تراقبه فأعط نفسك مناها وافعل

ماتشاء فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة ويكون كقوله «اعملوا ماشئتم»

وكقوله تعالى « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » الآية

﴿الحديث الحادى والعشرون﴾

عَنْ أَبِى عَمْرٍو وَقِيلَ أَبِى عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِى فِى الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ ✲ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم قل آمنت بالله ثم استقم﴾ أى كما أمرت ونهيت. والاستقامة ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات، قال الله تعالى «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك» وقال الله تعالى «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة» أى عند الموت تبشرهم بقوله تعالى «لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون» وفى التفسير أنهم إذا بشروا بالجنة قالوا وأولادنا ما يأكلون وما حالهم بعدنا فيقال لهم «نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» أى نتولى أمرهم بعدكم فتقر بذلك أعينهم

﴿الحديث الثانى والعشرون﴾

عَنْ أَبِى عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنهُما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذٰلِكَ شَيْئًا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ نَعَمْ ☆ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَمَعْنَى حَرَّمْتُ الْحَرَامَ اجْتَنَبْتُهُ وَمَعْنَى أَحْلَلْتُ الْحَلَالَ فَعَلْتُهُ مُعْتَقِدًا حِلَّهُ

﴿قوله أرأيت الخ﴾ معناه أخبرنى ﴿وقوله وأحللت الحلال﴾ أى اعتقدته حلالا وفعلت منه الواجبات ﴿وقوله وحرمت الحرام﴾ أى اعتقدته حراما ولم أفعله ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم نعم﴾ أى تدخل الجنة

﴿الحديث الثالث والعشرون﴾

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ✡ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم الطهور شطر الإيمان﴾ فسر الغزالى الطهور بطهارة القلب من الغل والحسد والحقد وسائر أمراض القلب. وذلك أن الإيمان الكامل إنما يتم بذلك فمن أتى بالشهادتين حصل له الشطر ومن طهر قلبه من بقية الأمراض كمل إيمانه ومن لم يطهر قلبه نقص إيمانه قال بعضهم ومن طهر قلبه وتوضأ واغتسل فقد دخل الصلاة بالطهارتين جميعا ومن دخل فى الصلاة بطهارة الأعضاء خاصة فقد دخل بإحدى الطهارتين والله تعالى لا ينظر إلا إلى طهارة القلب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله لا ينظر

إلى صوركم وأبشاركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السماء والأرض﴾ وهذا قد يشكل على الحديث الآخر وهو أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ياموسى « قل لا إله إلا الله فلو وضعت السموات السبع والأرضون السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله » ومعلوم أن السموات والأرضين أوسع مما بين السماء والأرض ، وإذا كانت الحمدلله تملأ الميزان وزيادة لزم أن تكون الحمد لله تملأ مابين السماء والأرض ، لأن الميزان أوسع مما بين السماء والأرض والحمد لله تملؤها ، والمراد أنه لو كان جسما لملأ الميزان ، أو أن ثواب الحمد لله يملؤها ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة نور﴾ أى ثوابها نور ، وفى الحديث « بشر الماشين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» ﴿قوله صلى الله عليه آله وسلم والصدقة برهان﴾ أى دليل على صحة إيمان صاحبها وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه ، وذلك أن المنافق قد يصلى ولا تسهل عليه الصدقة غالبا ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم والصبر ضياء﴾ أى الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله تعالى والبلاء ومكاره الدنيا ، ومعناه لايزال صاحبه مستمرا على الصواب ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل الناس يغدو

فبائع نفسه ﴾ معناه كل إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أى يهلكها قال عليه السلام « من قال حين يصبح أو يمسى اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ونبيك أعتق الله ربعه من النار فإن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار فإن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار فإن قالها أربعا أعتق الله كله من النار » فإن قيل المالك إذا أعتق بعض عبده سرى العتق إلى باقيه والله تعالى أعتق الربع الأول فلم يسر عليه و كذلك الباقى ، فالجواب أن السراية قهرية والله تعالى لا تقع عليه الأشياء القهرية بخلاف غيره ولا يقع فى حكمه سبحانه مالا يريد . قال الله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، الآية» قال بعض العلماء لم يقع بيع أشرف من هذا . وذلك أن المشترى هو الله والبائع المؤمنون والمبيع الأنفس والثمن الجنة ، وفى الآية دليل على أن البائع يجبر أولا على تسليم السلعة قبل أن يقبض الثمن وأن المشترى لا يجبر أولا على تسليم الثمن وذلك أن الله تعالى أوجب على المؤمنين الجهاد حتى يقتلوا فى سبيل الله فأوجب عليهم أن يسلموا الأنفس المبيعة ويأخذوا الجنة . فإن قيل : كيف يشترى السيد من عبيده أنفسهم والأنفس ملك له ؟ قيل : كاتبهم ثم اشترى منهم . والله تعالى أوجب عليهم الصلوات الخمس والصوم وغير ذلك فإذا أدوا ذلك فهم أحرار . والله تعالى أعلم

﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: يَاعِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَاعِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَاعِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ

مُلْكِى شَيْئًا يَاعِبَادِى لَوْأَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَانَقَصَ ذٰلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَاعِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللّٰهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذٰلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ✲ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿قوله عزّ وجلّ إنى حرمت الظلم على نفسى﴾ أى تقدست عنه والظلم مستحيل فى حق الله تعالى فإن الظلم مجاوزة الحد والتصرف فى ملك الغير وهما جميعا محال فى حق الله تعالى ﴿قوله تعالى فلا تظالموا﴾ أى فلا يظلم بعضكم بعضا ﴿قوله إنكم تخطأون بالليل والنهار﴾ بفتح التاء والطاء على أنه من خطىء بفتح الخاء وكسر الطاء يخطأ فى المضارع ويجوز فيه ضم التاء على أنه من أخطأ والخطأ يستعمل فى العمد والسهو . ولا يصح إنكار هذه اللغة . ويرد عليه قوله تعالى «إن قتلهم كان خطأ كبيرا» بفتح الخاء والطاء وقرىء خطأ كبيرا أيضا ﴿قوله تعالى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم الخ﴾ دلت الأدلة السمعية والعقلية على أن الله مستغن فى ذاته عن كل شىء وأنه تعالى

لا يتكثر بشيء من مخلوقاته وقد بين الله تعالى أن له ملك السموات والأرض وما بينهما ثم بين أنه مستغن عن ذلك . قال تعالى « يخلق مايشاء » وهو قادر على أن يذهب هذا الوجود ويخلق غيره ومن قدر على أن يخلق كل شيء فقد استغنى عن كل موجود ثم بين سبحانه وتعالى أنه مستغن عن الشريك فقال تعالى « ولم يكن له شريك فى الملك » ثم بين سبحانه وتعالى أنه مستغن عن المعين والظهير . فقال تعالى « ولم يكن له ولى من الذل » فوصف العز ثابت له أبدا ووصف الذل منتف عنه تعالى . ومن كان كذلك فهو مستغن عن طاعة المطيع ولو أن الخلق كلهم أطاعوه كطاعة أتقى رجل منهم وبادروا إلى أوامره ونواهيه ولم يخالفوه لم يتكثر سبحانه وتعالى بذلك ولا يكون ذلك زيادة فى ملكه ، وطاعتهم إنما حصلت بتوفيقه وإعانته وطاعتهم نعمة منه عليهم ولو أنهم كلهم عصوه كمعصية أفجر رجل وهو إبليس وخالفوا أمره ونهيه لم يضره ذلك ولم ينقص ذلك من كمال ملكه شيئا . فإنه لو شاء أهلكهم وخلق غيرهم فسبحان من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ﴿ قوله تعالى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك من ملكى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ﴾ ومعلوم أن المخيط وهو الإبرة وذلك فى المشاهدة لا تنقص من البحر شيئا والذى يتعلق بالمخيط لا يظهر له أثر فى المشاهدة ولا فى الوزن ﴿ قوله تعالى فمن وجد خيرا فليحمد الله ﴾ أى على توفيقه لطاعته ﴿ قوله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ حيث أعطاها مناها واتبع هواها

﴿الحديث الخامس والعشرون﴾

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةً وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةً وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ فَكَذَٰلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ٭ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

﴿قوله قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته وله فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى الحرام أكان عليه وزر﴾ اعلم أن شهوة الجماع شهوة أحبها الأنبياء والصالحون. قالوا لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية من غض البصر. وكسر الشهوة عن الزنا. وحصول النسل الذى تتم به عمارة الدنيا لو تكثر الأمة إلى يوم القيامة. قالوا وسائر الشهوات يقسى تعاطيها القلب الا هذه فإنها ترقق القلب

﴿الحديث السادس والعشرون﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ۞ رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ

﴿قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة﴾ السلامى أعضاء الانسان وذكر أنها ثلاثمائة وستون عضوا على كل عضو منها صدقة كل يوم وكل عمل برّ من تسبيح أو تهليل أو تكبير أو خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة فمن أدى هذه الصدقة فى أول يومه فقد أدّى زكاة بدنه فيحفظ بقيته . وجاء فى الحديث أن ركعتين من الضحى تقوم مقام ذلك . وفى الحديث « يقول الله تعالى يا ابن آدم صل لى أربع ركعات فى أول اليوم أكفيك فى أول اليوم وأكفيك آخره »

﴿الحديث السابع والعشرون﴾

عَنِ النَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ والإثْمُ ما حاكَ فى نَفْسِكَ وكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عليه الناسُ * رواه مسلم

وعن وابصة بن معبد رضى الله تعالى عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال جئت تسأل عن البِرِّ؟ قلت نعم قال استفت قلبك البِرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك * حديث حسن. رويناه فى مسندى الإمامين أحمد بن حنبل والدارمى بإسناد حسن

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم البر حسن الخلق﴾ وقد تقدم الكلام

فى حسن الخلق قال ابن عمر البر أمر هين ووجه طلق. ولسان لين. وقد ذكر الله تعالى آية جمعت أنواع البر. قال تعالى «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر» ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم والإثم ما حاك فى نفسك﴾ أى اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله. وفى الحديث دليل على أن الإنسان يراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شيء فإن اطمأنت عليه النفس فعله وإن لم تطمئن تركه وقد تقدم الكلام على الشبهة فى حديث «الحلال بين والحرام بين» ويروى أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا منها أنه قال إذا أردتم فعل شيء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه فإنى لما دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل. ومنها أنه قال إذا أردتم فعل شيء فانظروا فى عاقبته فانى لو نظرت فى عاقبة الأكل ما أكلت من الشجرة. ومنها أنه قال إذا أردتم فعل شيء فاستشيروا الأخيار فإنى لو استشرت الملائكة لأشاروا على بترك الأكل من الشجرة ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وكرهت أن يطلع عليه الناس﴾ لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة وعلى أخذها وعلى نكاح امرأة قد قيل إنها أرضعت معه ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم «والإثم ما حاك» كيف وقد قيل وكذلك الحرام إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس. ومثال الحرام الأكل من مال الغير فإنه يجوز إن كان يتحقق

رضاه فإن شك فى رضاه حرم الأكل وكذلك التصرف فى الوديعة بغير إذن صاحبها فإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه عليه وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ماحاك فى النفس وإن أفتاك الناس وأفتوك﴾ مثاله الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام وتردّدت النفس فى حلها وأفتاك المفتى بحل الأكل فإن الفتوى لاتزيل الشبهة وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانة فإن المفتى إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب. لاتكون الفتوى مزيلة للشبهة بل ينبغى الورع وإن إفتاه الناس والله أعلم

﴿ الحديث الثامن والعشرون ﴾

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا قَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ۞ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

﴿قوله وعظنا﴾ الوعظ هو التخويف ﴿وذرفت منها العيون﴾ أى بكت ودمعت ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بسنتى﴾ أى عند اختلاف الأمور الزموا سنتى وعضوا عليها بالنواجذ مؤخر الأضراس

وقيل الأنياب والإنسان متى عض بنواجذه كأنه يجمع أسنانه فيكون مبالغة، فمن العض على السنة الأخذ بها وعدم اتباع آراء أهل الأهواء والبدع وعضوا فعل أمر من عض يعض وهو بفتح العين. وضمها لحن. ولذلك تقول برأمك يازيد لأنه من بر يبر ولا تقول برأمك بضم الباء

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وسنة الخلفاء الراشدين﴾ رضى الله عنهم يريد الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى

(الحديث التاسع والعشرون)

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَارَسُولَ ٱللّٰهِ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى ٱلْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى عَنِ ٱلنَّارِ ، قَالَ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ تَعْبُدُ ٱللّٰهَ لَاتُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ ٱلصَّلَاةَ وَتُؤْتِى ٱلزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ ٱلْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْخَيْرِ : ٱلصَّوْمُ جُنَّةٌ وَٱلصَّدَقَةُ تُطْفِئُ ٱلْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ ٱلْمَاءُ ٱلنَّارَ وَصَلَاةُ ٱلرَّجُلِ فِى جَوْفِ ٱللَّيْلِ ثُمَّ تَلَا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ حَتَّى بَلَغَ يَعْمَلُونَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ ٱلْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ . قُلْتُ بَلَى يَارَسُولَ ٱللّٰهِ قَالَ رَأْسُ ٱلْأَمْرِ ٱلْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ ٱلصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ ٱلْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذٰلِكَ كُلِّهِ . قُلْتُ بَلَى يَارَسُولَ ٱللّٰهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هٰذَا قُلْتُ يَانَبِىَّ ٱللّٰهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ : فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ

وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ * رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وذروة سنامه﴾ أى أعلاه . وملاك الشىء بكسر الميم أى مقصوده ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ثكلتك أمك﴾ أى فقدتك ولم يقصد رسول الله حقيقة الدعاء بل جرى ذلك على عادة العرب فى المخاطبات . وحصائد ألسنتهم جناياتها على الناس بالوقوع فى أعراضهم والمشى بالنميمة ونحو ذلك وجنايات اللسان الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وكلمة الكفر والسخرية وخلف الوعد قال تعالى « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

﴿الحديث الثلاثون﴾

عَنْ أَبِى ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِى جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا * حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِى وَغَيْرُهُ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وحرم أشياء فلا تنتهكوها﴾ أى فلا تدخلوا فيها ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وسكت عن أشياء رحمة لكم﴾ تقدم معناه

﴿الحديث الحادى والثلاثون﴾

عَنْ أَبِى الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِى اللهُ وَأَحَبَّنِى النَّاسُ فَقَالَ ازْهَدْ فِى الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ حَدِيثٌ حَسَنٌ ٭ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله﴾ الزهد: ترك مالا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالا والاختصار على الكفاية والورع: ترك الشبهات. قالوا وأعقل الناس الزهاد لأنهم أحبوا ماأحب الله وكرهوا ما كره الله من جمع الدنيا واستعملوا الراحة لأنفسهم. قال الشافعى رحمه الله تعالى: لو أوصى لأعقل الناس صرف إلى الزهاد، ولبعضهم

كن زاهدا فيما حوت أيدى الورى   تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أو ماترى الخطاف حرم زادهم   فغدا رئيسا فى الحجور قريبا

وللشافعى رضى الله تعالى عنه فى ذم الدنيا

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها

فلم أرها إلا غرورا وباطلا كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها

وما هى إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

فدع عنك فضلات الأمور فإنها حرام على نفس التقى ارتكابها

« قوله حرام على نفس التقى ارتكابها » يدل على تحريم الفرح بالدنيا وقد صرح بذلك البغوى فى تفسير قوله تعالى « وفرحوا بالحياة الدنيا » ثم المراد بالدنيا المذمومة طلب الزائد على الكفاية . أما طلب الكفاية فواجب . قال بعضهم وليس ذلك من الدنيا . وأما الدنيا فالزائدة على الكفاية واستدل بقوله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية » فقوله تعالى ذلك إشارة إلى ماتقدم من طلب التوسع والتبسط . قال الشافعى رحمه الله تعالى طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد ولبعضهم

لادار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التى كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت أن الزهادة فيها ترك مافيها

فاغرس أصول التقى مادمت مجتهدا واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

ثم بعد ذلك إذا فرح بها لأجل المباهاة والتفاخر والتطاول على الناس فهو مذموم ومن فرح بها لكونها من فضل الله فهو محمود. قال عمر رضى الله عنه: اللهم لا نفرح إلا بما رزقتنا وقد مدح الله تعالى المقتصدين فى العيش. فقال تعالى «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا. الآية» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «ماخاب من استخار ولاندم من استشار ولا افتقر من اقتصد» وكان يقال القصد فى المعيشة يكفى عنك نصف المؤنة. والاقتصاد الرضا بالكفاية وقال بعض الصالحين: من اكتسب طيبا وأنفق قصدا قدم فضلا

﴿ الحديث الثانى والثلاثون ﴾

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ حَدِيثٌ حَسَنٌ ۞ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا ۞ وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا

﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا ضرر ﴾ أى لا يضر أحدكم أحداً بغير حق ولا جناية سابقة ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا ضرار ﴾ أى لا تضرّ من ضرك وإذا سبك أحد فلا تسبه وإن ضربك فلا تضربه بل اطلب حقك منه عند الحاكم من غير مسابة وإذا تساب رجلان أو تقاذفا لم يحصل التقاص بل كل واحد يأخذ حقه بالحاكم . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال للمتسابين ماقالا وعلى البادى منهما الإثم مالم يعتد المظلوم بسبب زائد .

﴿الحديث الثالث والثلاثون﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ يُعطى النَّاسُ بِدَعواهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَموالَ قَومٍ وَدِمَاءَهُمْ لَكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ ۞ رَوَاهُ الْبَيهقِي وَغيرُهُ هَكَذَا وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم البينة على المدعى واليمين على من أنكر﴾ إنما كانت البينة على المدعى لأنه يدعى خلاف الظاهر والأصل براءة الذمة وإنما كانت اليمين فى جانب المدعى عليه لأنه يدعى ما وافق الأصل وهو براءة الذمة ويستثنى مسائل فيقبل قول المدعى بلا بينة فيما لا يعلم إلا من جهته كدعوى الأب حاجة إلى الإعفاف ودعوى السفيه التوقان إلى النكاح مع القرينة ودعوى الخنثى الأنوثة والذكورة ودعوى الطفل البلوغ بالاحتلام ودعوى القريب عدم المال ليأخذ النفقة ودعوى المدين الإعسار فى دين لزمه بلا مقابل كصداق الزوجة والضمان وقيمة المتلف ودعوى المرأة انقضاء العدة بالإقرار أو بوضع الحمل ودعواها أنها استحلت وطلقت ودعوى المودع تلف الوديعة أو ضياعها بسرقة ونحوها ويستثنى أيضا القسامه فإن الأيمان تكون فى جانب المدعى مع اللوث

واللعان فإن الزوج يقذف ويلاعن ويسقط عنه الحدود . ودعوى الوطء في مدة العنة فإن المرأة إذا أنكرته يصدق الزوج بدعواه إلا أن تكون الزوجة بكرا . وكذا لو ادعى أنه وطىء في مدة الإيلاء . وتارك الصلاة إذا قال صليت في البيت . ومانع الزكاة إذا قال أخرجتها إلا أن ينكر الفقراء وهم محصورون فعليه البينة . وكذا لو ادعى الفقر وطلب الزكاة أعطي ولا يحلف بخلاف ما إذا ادعى العيال فإنه يحتاج إلى البينة . ولو أكل في يوم الثلاثين من رمضان وادعى أنه رأى الهلال لم يقبل منه إن ادعى ذلك بعد الأكل فإنه ينفي عن نفسه التعزير وإذا ادعى ذلك قبل الأكل قبل ولم يعزر . وينبغي أن يأكل سرا لأن شهادته وحده لا تقبل ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم واليمين على من أنكر﴾ هذه اليمين تسمى يمين الصبر وتسمى يمين الغموس وسميت يمين الصبر لأنها تحبس صاحب الحق عن حقه . والحبس الصبر . ومنه قيل للقتيل والمحبوس عن الدفن مصبر . قال صلى الله عليه وآله وسلم «من حلف على يمين صبر يقتطع به مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان» وهذه اليمين لا تكون إلا على الماضي ووقعت في القرآن العظيم في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى «يحلفون بالله ما قالوا» ومنها قوله تعالى إخبارا عن الكفرة «ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» ومنها قوله تعالى «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، الآية» ويستحب للحاكم أن يقرأ هذه الآية عند تحليفه للخصم لينزجر

﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أضعف الإيمان﴾ ليس المراد أن العاجز إذا أنكر بقلبه يكون إيمانه أضعف من إيمان غيره وإنما المراد أن ذلك أدنى الإيمان وذلك أن العمل ثمرة الإيمان وأعلى ثمرة الإيمان فى باب النهى عن المنكر أن ينهى بيده وإن قتل كان شهيدا. قال الله تعالى حاكيا عن لقمان «يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك» ويجب النهى على القادر باللسان وإن لم يسمع منه كما إذا علم أنه إذا سلم لايرد عليه السلام فإنه يسلم، فإن قيل: قوله صلى الله عليه وآله وسلم فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه يقتضى أن غير المستطيع لايجوز له التغيير بغير القلب والأمر للوجوب

فجوابه من وجهين : أحدهما أن المفهوم مخصص بقوله تعالى « واصبر على ماأصابك » والثانى أن الأمر فيه يعنى رفع الحرج لارفع المستحب ، فإن قيل : الإنكار بالقلب ليس فيه تغيير المنكر فما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فبقلبه . فجوابه أن المراد أن ينكر ذلك ولا يرضاه ويشتغل بذكر الله وقد مدح الله تعالى العاملين بذلك فقال « وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما »

﴿الحديث الخامس والثلاثون﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هٰهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ٭ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحاسدوا﴾ قد تقدم أن الحسد على ثلاثة أنواع . والنجش أصله الارتفاع والزيادة وهو أن يزيد فى ثمن سلعة ليغر غيره وهو حرام لأنه غش وخديعة ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تدابروا﴾ أى لا يهجر أحدكم أخاه وإن رآه أعطاه دبره أو ظهره قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » والبيع

على بيع آخيه صورته أن يبيع أخوه شيئا فيأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثله وأحسن منه بأقل من ثمن ذلك والشراء على الشراء حرام بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتريه منه بأغلى ثمن وكذلك يحرم السوم على سوم أخيه وكل هذا داخل فى الحديث لحصول المعنى وهو التباغض والتدابر . وتقييد النهى ببيع أخيه يقتضى أنه لايحرم على بيع الكافر وهو وجه لابن خالويه والصحيح لافرق لأنه من باب الوفاء بالذمة والعهد ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم التقوى هاهنا﴾ وأشار بيده إلى صدره أراد القلب وقد تقدم قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . الحديث » ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يخذله﴾ أى عند أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر أو عند مطالبته بحق من الحقوق بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى مااستطاع ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحقره﴾ أى فلا يحكم على نفسه بأنه خير من غيره بل يحكم على غيره بأنه خير منه أو لايحكم بشىء فإن العاقبة منطوية ولا يدرى العبد بما يختم له فإذا رأى صغيرا مسلما حكم بأنه خير منه باعتبار أنه أخف ذنوبا منه وإن رأى من هو أكبر سنا منه حكم بالخيرية باعتبار أنه أقدم هجرة منه فى الإسلام وإن رأى كافرا لم يقطع له بالنار لاحتمال أنه يسلم فيموت مسلما ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم بحسب امرىء من الشر﴾

أى يكفيه من الشر ﴿أن يحقر أخاه﴾ يعنى أن هذا شر عظيم يكفى فاعله عقوبة هذا الذنب ﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل المسلم الخ﴾ قال فى حجة الوداع إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . واستدل الكرابسى بهذا الحديث على أن الغيبة والوقوع فى عرض المسلمين كبيرة إما لدلالة الاقتران بالدم والمال وإما للتشبيه بقوله كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا وقد توعد الله تعالى بالعذاب الأليم عليه فقال تعالى «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم»

﴿الحديث السادس والثلاثون﴾

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ۞ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَذَا اللَّفْظِ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة﴾ فيه دليل على استحباب القرض

وعلى استحباب خلاص الأسير من أيدى الكفار بمال يعطية وعلى تخليص المسلم من أيدى الظلمة وخلاصه من السجن . يقال إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما خرج من السجن كتب على بابه هذا قبر الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ويدخل فى هذا الباب الضمان عن المعسر والكفالة بيدنه لمن هو قادر عليه أما العاجز فلا ينبغى له ذلك وقال بعض أصحاب القفال إن فى التوراة مكتوبا : إن الكفالة مذمومة أولها ندامة وأوسطها ملامة وآخرها غرامة . فإن قيل : قال الله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وهذا الحديث يدل على أن الحسنة بمثلها لأنها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيامة . فجوابه من وجهين : أحدهما أن هذا من باب مفهوم العدد والحكم المعلق بعدد لا يدل على نفى الزيادة والنقصان . والثانى أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة وأحوال صعبة ومخاوف جمة وتلك الأهوال تزيد على العشرة وأضعافها وفى الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق اللازم للملزوم وذلك أن فيه وعدا بإخبار الصادق أن من نفس الكربة عن المسلم يختم له بخير ويموت على الإسلام لأن الكافر لا يرحم فى دار الآخرة ولا ينفس عنه من كربه شىء ، ففى الحديث إشارة إلى بشارة تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الأمارة فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون ، لمثل هذا

فليعمل العاملون . فأفضل العمل تنفيس الكرب ، وفى الحديث دليل على استحباب ستر المسلم إذا اطلع عليه أنه عمل فاحشة ، قال الله تعالى « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » والمستحب للإنسان إذا اقترف ذنبا أن يستر على نفسه . وأما شهود الزنا فاختلف فيهم على وجهين : أحدهما يستحب لهم الستر ، والثانى الشهادة ، وفصل بعضهم فقال إن رأوا مصلحة فى الشهادة شهدوا أو فى الستر ستروا وفى الحديث دليل على استحباب المشى فى طلب العلم . ويروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن خذ عصا من حديد ونعلين من حديد وامش فى طلب العلم حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا . وفيه دليل على خدمة العلماء وملازمتهم والسفر معهم واكتساب العلم منهم قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه الصلاة والسلام «هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » واعلم أن هذا الحديث له شرائط منها العمل بما يعلمه وقال أنس رضى الله عنه العلماء همتهم الرعاية والسفهاء همتهم الرواية قال الشاعر

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولا

ياقوم من أظلم من واعظ خالف ماقد قاله فى الملا

أظهر بين الخلق إحسانه وخالف الرحمن لما خلا

ومن شرائطه نشره ، قال الله تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذارجعوا إليهم ، الآية » وروى أنس
رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أخبركم
عن أجودالأجواد قالوا بلى يارسول الله قال الله أجود الأجواد وأنا أجود
ولد آدم وأجودهم بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة
واحدة ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل » ومن شرائطه ترك
المباهاة والماراة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من
طلب العلم لأربعة دخل النار : ليباهى به العلماء ، أو يمارى به السفهاء
أو يأخذ به الأموال ، أو يصير به وجوه الناس إليه . ومن شرائطه الاحتساب
فى نشره وترك البخل به ، قال الله تعالى « قل لا أسئلكم عليه أجرا » ومن
شرائطه ترك الأنفة من قول لا أدرى ، قال صلى الله عليه وآله وسلم فى علو
مرتبته لما سئل عن الساعة « قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وسئل
عن الروح فقال لا أدرى ، ومن شرائطه التواضع . قال الله تعالى « وعباد
الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » قال صلى الله عليه وآله وسلم
لأبى ذر « يا أبا ذر احفظ وصية نبيك عسى أن ينفعك الله بها : تواضع
لله عز وجلّ عسى أن يرفعك يوم القيامة ، وسلم على من لقيت من أمتى
برها وفاجرها ، والبس الخشن من الثياب ، ولا ترد بذلك إلا وجه الله
تعالى لعل الكبر والحمية لا يجدان فى قلبك مساغا » ومن شرائطه احتمال

الأذى فى بذل النصيحة والاقتداء بالسلف الصالح فى ذلك . قال الله تعالى «وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «ماأوذى نبى مثل ماأوذيت» ومن شرائطه أن يقصد بعلمه من كان أحوج إلى التعلم كما يقصد بالصدقة بالمال الأحوج فالأحوج فمن أحيي جاهلا بتعليم العلم فكأنما أحيي الناس جميعا ، ومما قيل فى تنبيه الغافل ورده إلى الطاعة :

من رد عبدا آبقا شاردا عفى عن الذنب له الغافر

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم إلا نزلت عليهم السكينة﴾ هى فعيلة من السكون أى الطمأنينة من الله ، قال الله تعالى «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وكفى بذكر الله شرفا ذكر الله العبد فى الملأ الأعلى . ولهذا قيل

وأكثر ذكره فى الأرض دوما لتذكر فى السماء إذا ذكرتا

وقيل

وساعة الذكر فاعلم ثروة وغنى وساعة اللهو إفلاس وفاقات

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بطأ به عمله﴾ أى وإن كان نسيبا ﴿لم يسرع به نسبه﴾ إلى الجنة فيقدم العامل بالطاعة ولو كان عبدا حبشيا على غير العامل ولو كان شريفا قرشيا . قال الله تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»

﴿الحديث السابع والثلاثون﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذٰلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا بِهٰذِهِ الْحُرُوفِ

فَانْظُرْ يَا أَخِي وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَى عَظِيمِ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى وَتَأَمَّلْ هٰذِهِ الأَلْفَاظَ ، وَقَوْلُهُ «عِنْدَهُ» إِشَارَةٌ إِلَى الاعْتِنَاءِ بِهَا ، وَقَوْلُهُ «كَامِلَةً» لِلتَّأْكِيدِ وَشِدَّةِ الاعْتِنَاءِ بِهَا وَقَالَ فِي السَّيِّئَةِ الَّتِي هَمَّ بِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَأَكَّدَهَا بِكَامِلَةٍ وَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا سَيِّئَةً

وَاحِدَةً فَأَكَّدَ تَقْلِيلَهَا بِوَاحِدَةٍ وَلَمْ يُؤَكِّدْهَا بِكَامِلَةٍ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة﴾ وروى البزار فى مسنده أنه صلى الله عليه وسلم قال « الأعمال سبعة عملان موجبان ، وعملان واحد بواحد ، وعمل الحسنة فيه بعشرة ، وعمل الحسنة فيه بسبعمائة ضعف ، وعمل لا يحصى ثوابه إلا الله تعالى» فأما العملان الموجبان : فالكفر والايمان. فالايمان يوجب الجنة . والكفر يوجب النار . وأما العملان اللذان هما واحد بواحد فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة . ومن عمل سيئة كتب الله عليه سيئة واحدة وأما العمل الذى بعشر حسنات فعمل الحسنة لقول الله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وأما العمل الذى بسبعمائة ضعف فدرهم الجهاد فى سبيل الله قال الله تعالى « كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أنه يضاعف لمن يشاء زيادة على ذلك . وقال الله تعالى « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » فدلت الآية والحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أضعاف كثيرة أن العشر والسبعمائة كلمة ليست للتحديد وأنه يضاعف لمن يشاء ويعطى من لدنه مالا يعد ولا يحصى . فسبحان من لا تحصى آلاؤه ولا تعد نعماؤه فله الشكر والنعمة والفضل . وأما السابع فهو الصوم ، يقول الله تعالى « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » فلا يعلم ثواب الصوم إلا الله

﴿الحديث الثامن والثلاثون﴾

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه تعالى من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب﴾ المراد هنا بالولى المؤمن ، قال الله تعالى « الله ولى الذين آمنوا » فمن آذى مؤمنا فقد آذنه الله أى أعلمه الله أنه محارب له والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه فليحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم ﴿قوله تعالى وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضه عليه﴾ فيه دليل على أن فعل الفريضة أفضل من النوافل وجاء فى الحديث أن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة ﴿قوله تعالى ولا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه﴾ ضرب العلماء رضى الله تعالى عنهم لذلك

مثلا فقالوا مثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره كمثل رجل أعطى لأحد عبديه درهما ليشترى به فاكهة وأعطى آخر درهما ليشترى فاكهة فذهب أحد العبدين فاشترى فاكهة فوضعها فى قوصرة وطرح عليها ريحانا ومشموما من عنده ثم جاء فوضعها بين يدى السيد وذهب الآخر واشترى الفاكهة فى حجره ثم جاء فوضعها بين يدى السيد على الأرض فكل واحد من العبدين قد امتثل لكن أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم فيصير أحب إلى السيد. فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله ، والمحبة من الله إرادة الخير. فإذا أحب عبده شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان واستعمل أعضاءه فى الطاعة وحبب إليه سماع القرآن والذكر وكرّه إليه سماع الغناء وآلات اللهو وصار من الذين قال الله تعالى فى حقهم «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقال تعالى «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» فإذا سمعوا منهم كلاما فاحشا أضربوا عنه وقالوا قولا يسلمون فيه وحفظ بصره عن المحارم فلا ينظر إلى مالا يحل له وصار نظره نظر فكر واعتبار فلا يرى شيئا من المصنوعات إلا استدل به على خالقه وقال على رضى الله عنه ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله تعالى قبله ، ومعنى الاعتبار العبور بالفكر فى المخلوقات إلى قدرة الخالق فيسبح عند ذلك ويقدس ويعظم وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى ولا يمشى فيما لا يعنيه ولا يفعل بيده شيئا عبثا بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى فيثاب على ذلك فى حركاته وسكناته وفى سائر أفعاله (قوله تعالى كنت سمعه) يحتمل كنت الحافظ لسمعه ولبصره ولبطش يده ورجله من الشيطان ، ويحتمل كنت فى قلبه عند سمعه وبصره وبطشه فإذا ذكرنى كف عن العمل لغيرى

(الحديث التاسع والثلاثون)

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رضى ٱللهُ عنهما أَنَّ رسولَ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليه وآله وسلَّم قالَ إِنَّ ٱللهَ تجاوز لى عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأَ وَالنِّسْيانَ وما ٱسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ * حَدِيثٌ حسنٌ رواه ٱبْنُ ماجه وَالْبَيْهَقِى وغيرُهما

(قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) أى تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع فلو أتلف شيئاً خطأ أو ضاعت منه الوديعة نسياناً ضمن ، ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنا والقتل فلا يباحان بالإكراه. ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه فإنه يأثم بفعله لتقصيره. وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة جمعت فيها مصنفا لا يحتمله هذا الكتاب

﴿ الحديث الأربعون ﴾

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهما قالَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ * رَوَاهُ الْبُخَارِى

﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ﴾ أى لا تركن إليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله وهذا معنى قول سلمان الفارسى رضى الله عنه أمرنى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب ومما قيل فى الزهد فى الدنيا :

أتبنى بناء الخالدين وإنما مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية لمن كان فيها بعتريه رحيل

وممـا قيل فى الزهد فى الدنيا :

ترجو البقاء بدار لا بقاء لهـا وهل سمعت بظـل غير منتقل

وقال آخر

سجنت بهـا وأنت لهـا محب فكيف تحب مافيه سجنتـا

فـــلا تلهو بدار أنت فيهـا تفـارق منـك يوما ماالهوتا

وتطعمك الطعام وعن قريب ستطعم منك مامنهـا طعمتـا

وفى الحديث دليل على قصر الأمل وتقديم التوبة والاستعداد للموت فإن أمل فليقل إن شاء الله تعالى ، قال الله تعالى « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » ﴿ وقوله وخذ من صحتك ﴾ أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يغتنم أوقات الصحة بالعمل الصالح فيها فإنه قد يعجز عن الصيام والقيام ونحوهما لعلة تحصل من المرض والكبر ﴿ قوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن حياتك لموتك ﴾ أمره صلى الله عليه وآله وسلم بتقديم الزاد وهذا كقوله تعالى « ولتنظر نفس ماقدمت لغد » ولا يفرط فيها حتى يدركه الموت فيقول « رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » وقال الغزالى رحمه الله تعالى : ابن آدم بدنه معه كالشبكة يكتسب بها الأعمال الصالحة فإذا اكتسب خيرا ثم مات كفاه ولم يحتج بعد ذلك إلى الشبكة وهو البدن الذى فارقه بالموت ، ولا شك أن الإنسان إذا مات انقطعت شهوته من الدنيا

واشتهت نفسه العمل الصالح لأنه زاد القبر فإن كان معه استغنى به وإن لم يكن معه طلب الرجوع منها إلى الدنيا ليأخذ منها الزاد وذلك بعد ماأخذت منه الشبكة فيقال له هيهات قد فات فيبقى متحيرا دائما نادما على تفريطه فى أخذ الزاد قبل انتزاع الشبكة فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وخذ من حياتك لموتك» فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

﴿الحديث الحادى والأربعون﴾

عَنْ أَبِى مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ❊ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِى كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ

﴿قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به﴾ يعنى أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب والسنة ويخالف هواه ويتبع ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم وهذا نظير قوله تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فليس لأحد مع الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أمر ولا هوى . وعن إبراهيم بن محمد الكوفى قال رأيت الشافعى بمكة يفتى الناس ورأيت إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين فقال أحمد لإسحاق تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله فقال له إسحاق لم تر عيناى مثله قال نعم فجاء به فوقفه على الشافعى فذكر القصة إلى أن قال

ثم تقدم إسحاق إلى مجلس الشافعى فسأله عن كراء بيوت مكة فقال الشافعى هذا عندنا جائز قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهل ترك لنا عقيل من دار فقال إسحاق أخبرنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك وعطاء وطاوس لم يكونا يريان ذلك فقال له الشافعى أنت الذى تزعم أهل خراسان أنك فقيههم، قال إسحاق كذا يزعمون . قال الشافعى ما أحوجنى أن يكون غيرك فى موضعك فكنت آمر أن يفرك أذنيه أنا أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تقول قال عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم هؤلاء لا يرون ذلك، وهل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة ثم قال الشافعى قال الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم » أفتنسب الديار إلى مالكين أو غير مالكين قال إسحاق إلى مالكين قال الشافعى فقول الله تعالى أصدق الأقاويل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وقد اشترى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دار الحجلتين . وذكر الشافعى جماعات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له إسحاق سواء العاكف فيه والباد فقال له الشافعى فالمراد به المسجد خاصة وهو الذى حول الكعبة ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز لأحد أن ينشد فى دور مكة ضالة ولا تحبس فيها البدن ولا تلقى الأرواث ولكن هذا فى المسجد خاصة فسكت إسحاق ولم يتكلم فسكت الشافعى عنه

﴿الحديث الثانى والأربعون﴾

عَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللهُ تَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِى يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لَا تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ۞ رواه التِّرْمِذِىُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

﴿قوله تعالى عنان السماء﴾ هو بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل ما عن لك منها أى ظهر إذا رفعت رأسك ﴿قوله تعالى ثم استغفرتنى غفرت لك﴾ هو نظير قوله تعالى «ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما» والاستغفار لابد أن يكون مقرونا بالتوبة . قال الله تعالى «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه» وقال تعالى «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» واعلم أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين وقد يكون عن تقصير فى أداء الشكر وهو

استغفار الأولياء والصالحين وقد يكون لا عن واحد منهما بل يكون شكرا وهو استغفاره صلى الله عليه وسلم واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله عليه وآله وسلم سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى بكر رضى الله عنه « قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا وفى رواية كبيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » وهذا آخر مايسر الله الكريم على سبيل الاختصار والحمد لله رب العالمين

(تم بعون الله تعالى)